

تجد عدداً من قصص وسير الصحابة
رضوان الله عليهم
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

محمد بن مسامحة

محمود شكر

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٠١ - ١٩٨١ م

المكتب الإسلامي

بيروت: ص.ب ٤٥٦٣٨ - هاتف ٢٧٧١/١١ - برقياً: اسلامي

دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمد بن مسلمة رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن نهج منهجهم إلى يوم الدين أما بعد : فإن أبا عبد الرحمن محمد بن مسلمة ابن خالد كان من أولئك الأنصار من أهل المدينة الذين أنعم الله عليهم بالإيمان فنصروا الله ورسوله فنصرهم الله وأعزهم ، وكان يوم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة في الخامسة والثلاثين من العمر ، أي أصغر من رسول الله ﷺ بثماني عشرة سنة ، وفي سن من النضج ، فأسلم عن عقيدة ويقين ، وبذل كل ما في طاقته لنصرة هذا الدين ، وعمل بكل إمكاناته لرفع راية الإسلام .

كان محمد بن مسلمة من الأوس وهم الأقل عدداً من إخوانهم الخزرج ، ولكن ليست القوة بالأعداد ،

وارتفاع المعنويات ، ويبدو أن الرجال الأكثر جهادا كانوا
بين الأوس ، وكذلك الأبطال الأكثر تضحية كانت بينهم
أكثر مما هي بين أشقائهم الخزرج ، وسعد بن معاذ سيد
الأوس هو سيد الأنصار جميماً ، كما أن أسيد بن
حضرير ، وعبداد بن بشر ، ومحمد بن مسلمة وهم من كبار
الصحابة من الأنصار أمثال سعد بن عبادة ، وسعد بن
الربيع ، وأبي دجابة ، وعبد الله بن رواحة ، والحباب
ابن المنذر وغيرهم من الخزرج .

كان محمد بن مسلمة من بني حارثة بن الحارث ،
وهم حلفاء بني عبيد أحد بطون الأوس ، وليس معنى
الحليف - كما يتوهם بعضهم - أقل رتبة أو أضعف شأنًا
من بقية البطون المشهورة والقبائل المعروفة ، وإنما
على مستوى حليفه نفسه ، تحالف مع ندّ له لظروف
احتاطت به أو لأسباب طرأة على وضعه ، ومحمد بن
مسلمة أحد هؤلاء الحلفاء لبني عبيد ، وعلى مستوى
رجالاتهم بل أكثرهم شهرة وأعلاهم رتبة .

لم تكن العرب لتسمى محمداً قبل رسول الله ﷺ
إلا نادرًا ، ولعله لا يعرف غير اسم محمد بن مسلمة في

مثل سنّة التي لم تكن لتجاوز الخامسة والثلاثين قبل هجرة المصطفى عليه أفضـل الصلاة والسلام .

لم يكن رسول الله ﷺ ليطلب من المسلمين طلباً إلا ويكون محمد بن مسلمة - إن كان حاضراً - أول من يستعد لتلبية طلب رسوله الكريم وتحقيق رغبته على الفور .

شهد محمد بن مسلمة بدرأً وكان من أبطال المسلمين فيها . وكان لهزيمة قريش ومقتل زعمائهم الأثر السيء في نفوس اليهود الذين شعروا بقوة المسلمين ، وهم يحددون على كل من فوقهم ، ويتمنون له الضعف والذل حتى يتمكنوا من السيطرة عليه ، وابتزاز ماله ، وامتصاص دمه ، لذا قال أحد زعمائهم ، وهو كعب بن الأشرف عندما وصل إليه نبأ معركة بدر : لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ، فلما تيقن عدو الله الخبر انتقل إلى مكة ، وبدأ يحرض على رسول الله ﷺ ، ويسكي قتلى بدر من المشركين - وكان شاعراً . ولما تم له ما أراد من التحريض وإثارة الحقد رجع إلى المدينة وصار يتشبّه بنساء المسلمين حتى آذاهم . . .

قال له محمد بن مسلمة : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله .

قال رسول الله ﷺ : فافعل إن قدرت على ذلك .

وكمث محمد بن مسلمة عدة أيام في البيت لا يتناول الطعام ، وهو يفكر في الموضوع ، ويخشى ألا يستطيع أن يحقق ما وعد به ، وعلم رسول الله ﷺ بالخبر ، فسأل محمد بن مسلمة عن عدم تناوله الطعام ، فأخبره ما به ، فدعاه ، وطلب منه العمل . أخذ محمد ابن مسلمة جماعة من الأوس منبني عبد الأشهل منهم أبو نائلة ، وهو أخ لكتعب بن الأشرف في الرضاعة ، وانطلق الجمع إلى حصن كعب ، وناداه أبو نائلة ، وحده وحده في شراء بعض المواد منه ديناً وهو وأصدقاء له ، وسال لعاب اليهودي على الربع ، واستشعر برنيين المال بين يديه كعادة يهود دائمًا وفي كل وقت ، ووافق مقابل رهائن يقدمونها له ، وطلب أن يأتي له بأصدقائه ، فعاد وجاء بهم إليه ، وخرج كعب بن الأشرف من حصنه

للالقاء بهم على الرغم من أن الوقت كان ليلاً ، وفي
ساعة متأخرة منه ، واليهود يخشون الخروج ليلاً ، إلا أن
حب المال والطمع في الأرباح قد أخرجه وغطى على
كل شيء . وعلى الرغم من تحذير زوجه له ، واستدرجه
الصحابة بعيداً عن الحصن ، وساروا به مسافة يتحدثون
معه عن نوعية الرهائن ، حتى اتفقوا على رهن السلاح .
وكان كعب متعرضاً ، فقال له أبو نائلة : ما أجمل هذه
الرائحة ! وقرب رأسه منه كأنه يريد أن يزيد من شم
رائحة العطر ، إلا أنه جذبه من شعره ، وقال لأخوانه :
اضربوا عدو الله ، وعملت فيه أسيافهم ، ولكن خوفاً
على أنفسهم بعضهم من بعض لم يسقط ، إذ لم تناشه
السيوف ، فأخرج محمد بن مسلمة سكيناً ، ووضعها في
ثيته ، وتحامل عليه حتى وصلت إلى عانته ، فوقع عدو
الله ، ورجع الصحابة إلى رسول الله ، وأخبر محمد بن
مسلمة رسول الله ﷺ أن كعب بن الأشرف قد قتل .

وفي السنة الثالثة من هجرة رسول الله ﷺ كانت
غزوة أحد التي أرادت قريش منها أن تثار لنفسها ،
فأصيب فيها المسلمين ، ولكن لم تستطع قريش
الوصول إلى ما أرادت إذ بقيت معنويات المسلمين

قائمة ، وسقط منهم عدد من الشهداء البررة . واشتعل
المسلمون إثر المعركة بقتلاهم ، وقال رسول الله ﷺ :
من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء
هو أم في الأموات ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا أنظر
إليك يا رسول الله ما فعل سعد . وانطلق فنظر فوجده
جريحاً في القتلى وبه رمق . فقال له : إن رسول الله
أمرني أنظر ، أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال :
أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عنِي السلام ، وقل
له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما
جزى نبياً عن أمهه ، وأبلغ قومك عنِي السلام ، وقل
لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم
عند الله ، إن خلص لنبِيكَ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تُطْرَفُ . ولم
يبرح محمد بن مسلمة حتى مات سعد بن الربيع .

وبعد غزوة أحد سرّ اليهود في المدينة بما أصاب
المسلمين ، وفكروا بالتخلص منهم بعد أن استضعفوهم
وطمعوا فيهم ، لذا قرر بنو النضير من يهود اغتيال رسول
الله ﷺ ، وسمحت لهم الفرصة - حسب زعمهم - إذ زار
رسول الله ﷺ ديارهم ليطلب منهم المشاركة في دفع

الدية لرجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، وهو لا يعلم أن رسول الله ﷺ قد أعطاهم عهداً . ورحب يهود بني النضير برسول الله ، ووعدهم بدفع ما يريد ، ومكث ينتظر هو وأصحابه إنجاز ما وعدت يهود ، وقد جلسوا في ظل جدار ، فقررت يهود إلقاء صخرة عليه ، وأخبر رسول الله ﷺ من السماء بما همّت به يهود ، وهذا ما جعله يترك مكانه ، ويرجع إلى المدينة ، وتبعه أصحابه . وعد رسول الله ما همّ به اليهود من الغدر نقضاً للعهد لذا قرر إجلاءهم عن المدينة ، ووجه إليهم إنذاراً حمله محمد بن مسلمة ، إذ استدعاه رسول الله ﷺ وقال له : إذهب إلى يهود بني النضير ، وقل لهم : إن رسول الله أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي ، لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم مما همّت به من الغدر ، لقد أجلتكم عشرأً فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه . وذهب محمد بن مسلمة إليهم ، ولم ينكروا ما همّوا به ، وانهارت معنوياتهم ، إلا أن المنافقين قد طلبوا منهم رفض الإنذار النبوي ، ففعلوا ، فسار إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم ، وضعفوا بعد قطع نخيلهم ، وفاوضوا رسول الله في الصلح والجلاء عن المدينة بعد أن تدخل

ابن سلول .

وظنت قريش أن أمر المسلمين قد ضعف بعد غزوة أحد وما تلاها في يوم الرجيع وبئر معونة وغيرها ، فأرادت قريش أن تشن حرباً واسعة تقضي فيها على المسلمين ، فحزّت الأحزاب ، وجمعت أعداء المسلمين في حلف ، ومنهم يهودبني قريطة الذين بقوا وحدهم في المدينة بينما أجليت بقية يهود لتأمرهم وخيانتهم ، وخططت الأحزاب ومكروا ، ولكن الله ردّ كيدهم في نحرهم ، فتركوا حصار المدينة ، وبقي بنو قريطة في مواقعهم داخلها . فسار إليهم المسلمون وحاصروهم ، وكان محمد بن مسلمة رئيساً للحرس النبوى ، وكثيراً ما تولى هذه المهمة بعد أن أصيب سيد الأنصار سعد بن معاذ في غزوة الأحزاب ، وقد مات شهيداً إثر غزوةبني قريطة متاثراً بجراحه ، وغالباً ما كانت هذه المهمة في الأوس ، ولا شك فإن تولي قيادة الحرس النبوى ليدل على مدى ثقة رسول الله ﷺ به ، وثقته بشجاعته وإمكاناته .

وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على علم

بالرجال وخبر بالكرام ، وقد مرّ به عمرو بن سعدي القرطي يوم نزل بنو قريطة على حكم رسول الله ﷺ ، فلما رأه قال : من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدي ، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريطة في غدرهم برسول الله ، فقال محمد بن مسلمة : اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله . ولا شك فإن هذه الكلمة لتدل على مدى تقديره لعمرو الذي حافظ على العهد ورفض الغدر كما فعل بقية يهود .

وكانت إذا انطلقت سرية من السرايا إلى جهة من الجهات ولم يكن رسول الله فيها أعطى قيادتها إلى رجل من المعروفين بالشجاعة المتميزين بالعيقرية المشهورين بالقدرة العسكرية والامكانيات الحربية ، ولقد تولى محمد بن مسلمة قيادة عددٍ من هذه السرايا التي خرجت تقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله .

في مطلع السنة السادسة للهجرة أرسل رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة في ثلاثة راكباً لشن غارة علىبني بكر بن كلاب ، وكانوا ينزلون شمال شرقى المدينة على بعد ١٥٠ كيلومتراً منها على طريق البصرة ، فسار رضي الله عنه إليهم ، وكان يكمن في النهار ، ويتحرك في

أشخاص ، وفر الباقيون ، فساق إبل وسياه العدو أمامه ،
وعاد بسريته دون أن يصاب أحد منهم بأذى . وأثناء
طريق العودة التقى بثمامنة بن أثال الحنفي ، أحد زعماء
بني حنيفة ، ومحمد بن مسلم لا يعرف ثمامنة ، كما لا
يعرفه أحد من سرتته ، فأسره ، وحمله معه إلى
المدينة . فلما سار به إلى رسول الله ﷺ عرفه الرسول
الكريم ، فعامله معاملة طيبة على طبيعة معاملة رسول
الله للأعيان والكرام ، وعرض عليه الإسلام ثلاثة أيام ،
ولكنه رفضه ، فأطلق سراحه ، فسار ثمامنة أشواطاً ثم
رجع فأعلن إسلامه بعد ما رأى من الآيات ما رأى وشعر
بالمعاملة الكريمة إذ رفض أن يتبع هواه ، ويصر على
رأيه ، ويستكير بغير حق بعد أن تبين له الطريق
الواضح ، وظهر له الخط المستقيم ، وسطع أمامه
النور ، وسار إلى بلاده عن طريق مكة ، فاعتبر وأشهر
إسلامه ، وأغاظ قريشاً ، وأرادت به كيداً فهدها بقطع
الميرة عنها ، وكاد يفعل لولا تدخل رسول الله ﷺ .

وفي السنة السادسة نفسها في شهر ربيع الأول
أرسل رسول الله ﷺ أيضاً محمد بن مسلم على رأس

عشرة من المسلمين إلى (ذي القصبة) التي تقع على طريق (الربذة) على بعد ٣٧ كيلو متراً من المدينة لتأديب أهلها من بني ثعلبة الذين كانوا يريدون الإغارة على إبل المسلمين التي ترتعى على مقربة من المدينة في منطقة (الهيفاء) ، ووصل خبر هذه السرية إلى أعداء المسلمين ، فنصبوا كميناً لهم ، ونام المسلمون ، ولكن لم يلبثوا أن شعروا بالهجوم عليهم ، فقتل المسلمون جمياً ما عدا أميرهم محمد بن مسلمة الذي أثخنته الجراح ، وظن الأعداء أنه قتل ، فرجع إلى المدينة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما حصل ، فأرسل إلى القوم أبو عبيدة بن الجراح ليؤدب أعداء الله ، فسار إلى ديارهم فولوا هاربين ، وقد تركوا إبلهم ، فاستاقها أبو عبيدة ورجع رضي الله عنه إلى المدينة .

وفي السنة السادسة نفسها سار رسول الله ﷺ إلى مكة المكرمة ليؤدي العمرة وكان معه ألف وخمسمائة من المسلمين ، إلا أن قريشاً وقفت في وجههم ، وحالت دونهم والبيت ، وجرى صلح الحديبية بين المسلمين وقريش . وأصبحت الجبهة الجنوبية لل-Muslimين في وقت صلح ومهادنة الأمر الذي جعل

اليهود في خيبر و(فدرك) و(تيماء) و(وادي القرى)
ومن سار إليهم ممن جلا عن المدينة من أبناء عقيدتهم ،
كما شجع أولئك الأعداء الأعراب ورجال القبائل التي لا
نزل على وثنيتها وشركها .

سار رسول الله ﷺ بال المسلمين إلى خيبر في مطلع
السنة السابعة ، ولم يقبل في حملته هذه إلا من حضر
الحدبية ، ووصل المسلمون إلى خيبر التي تبعد حوالي
١٦٠ كيلو متراً إلى الشمال من المدينة ، وكانت
مجموعة من الحصون ، وقد هُزم اليهود ، وهربوا أمام
المسلمين ، ودخلوا الحصن ، وأغلقوا الأبواب ،
وبذؤوا برمي المسلمين بالحجارة من الأبراج وأعلى
الحصن ، وقد استشهد محمود بن مسلمة أخو محمد بن
مسلمة إذ ألقى عليه حجر رحى ، ونتيجة هذا الرمي
تراجع المسلمين عن الحصن ، فخرج اليهود منه ،
وقاتلوا أشد قتال ، وترس المسلمين عن النبي وذادوا
عنه ، وكان محمد بن مسلمة في مقدمة الذايدن ،
واستمر القتال حتى المساء حيث تم ليلاً تغيير مقر قيادة
رسول الله ﷺ ، إذ بعث النبي الكريم قائداً حرسه

الخاص محمد بن مسلمة ليقتله عن مقبرة جديدة بناءً على رأي الحباب بن المنذر ، وقد وجد محمد بن مسلمة مقراً مناسباً في وادي الرجيع يتفق والمواصفات التي قدمها رسول الله ﷺ .

ولم يسقط هذا الحصن وهو الحصن الأول من حصون خيبر حتى قتل قادة المدافعين عنه وهم : (مرحب) وأخواه (ياسر) و(الحارث) وقادة آخرون ، فقد قتل (الحارث) ، ثم قتل (مرحب) على يد بطننا محمد بن مسلمة ، إذ خرج (مرحب) يطلب المبارزة ، وهو من أشداء اليهود وأكثرهم شجاعة ، فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله المؤتور الثائر ، قتل أخي بالأمس ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : فقم إليه ، اللهم أعنـه عليه . فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية (قديمة) من شجر العُشر ، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كل واحدٍ منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فتن ، وهنا حمل القائد (مرحب) على ابن مسلمة فأهوى إليه

(مرحب) فيها ، فعصت به فامسكته ، وهنا ضربه
محمد بن مسلمة حتى قتله .

ويروى أن محمد بن مسلمة لما بُرِزَ إلى
(مرحب) قطع رجليه ، وبعد أن طرحته أرضاً ، قال له
مرحب : أجهز علىّ ، فقال : لا ، ذق الموت كما ذاقه
أخي محمود بن مسلمة ، فمر به علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وقطع رأسه .

وخرج (ياسر) أخوه (مرحب) الثاني فتصدى له
الزبير بن العوام وقتلته ، وبرز قائده رابع يدعى (عامر)
قتله علي بن أبي طالب ، وخرج القائد الخامس وهو
(أسير) فخرج له قائدها محمد بن مسلمة فضربه ضربة
أرداه قتيلاً .

وبعد مقتل قادة اليهود الخمسة انهارت معنيات
اليهود داخل الحصن ، وشدد المسلمون هجومهم عليه
حتى اقتحموه ففتحوه ، وهو أول حصن خير .

وفتح المسلمون المجموعة الأولى من الحصون في
خير ، وانتقلوا إلى المجموعة الثانية ، وكانت تحت

إمرة آل أبي الحقيق ، وصمدت في بداية أمرها ، ثم انهارت المعنيات ، وطلب المدافعون الصلح ، وأبرمت الاتفاقية ، ووافعت من الطرفين ، ولكن أمراء اليهود في هذا الجزء ، وهم كنانة بن أبي الحقيق ، وأخوه الربيع بن أبي الحقيق قد خانوا العهد ، ونكثوا بالوعد ، ورفض أولهما الأدلة بمكان الكنوز كذباً وخيانة ، فكانا أن أعدما ، وقد أمر رسول الله ﷺ محمد ابن مسلمة أن يقتل كنانة بن أبي الحقيق بأخيه محمود بن مسلمة ، ففعل .

وأتمَّ رسول الله ﷺ فتح خير وبقية معاقل يهود في (فدك) و(تيماء) و(وادي القرى) وبذا قضى على الجبهة الشمالية نهائياً ، وانتهى دور اليهود العلني في محاربة المسلمين في تلك الحقبة من التاريخ على حين استمر الدور السري والممومه .

وبناءً على صلح الحديبية سار رسول الله ﷺ إلى عمرة القضاء في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة ، وسارت أمامة كتيبة الفرسان التي يرأسها محمد ابن مسلمة والتي وصلت إلى (مرالظهران) (وادي

هالتها القوة - فاعلمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام سيكون غداة ذلك اليوم في (مرا الظهران) .

وفتحت مكة في السنة الثامنة للهجرة ، وأسلمت قريش ، وانتهى عداؤها ، وانتهت جبهة الجنوب ، وعاد رسول الله ﷺ يتوجه ثانية نحو الشمال إذ بدأ الروم يتحرشون بالمسلمين ، ويحرضون العرب المتتصرة للإغارة على المدينة ، وبذا فتحت جبهة الشمال ثانية ، وتحرك رسول الله ﷺ إلى (تبوك) في السنة التاسعة للهجرة ليظهر قوة المسلمين أمام الروم وإمكانية حركتهم ، وقدرتهم على المجابهة ، وقبل سيره ﷺ أصدر أمره بتعيين محمد بن مسلمة أميراً على المدينة مدة غياب الرسول الكريم .

وبدأت وفود القبائل تصل إلى المدينة المنورة تعلن الإسلام ، وتدين بالطاعة ، ومن استمر في تعنته وعلى شركه ووثنيته أرسل لهم رسول الله سرايا تخضعه ، وكان من هذه السرايا سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه التي سار بها إلى (القرطاء) من هوازن .

واستمر محمد بن مسلمة رضي الله عنه طيلة حياة رسول الله ﷺ من الصحابة الذين يحملون لواء الإسلام ، ويدافعون عنه ، ويذودون عن رسول الله ﷺ ، ويحرسونه ، وتوفي رسول الله وهو عنه راض ، وجاء أبو بكر خليفة لرسول الله وكان محمد بن مسلمة معه كما كان مع رسول الله ﷺ .

وجاء عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورأى أن يبقى كبار الصحابة في المدينة المنورة يستشيرهم في الأمور ، ويزودونه بالأراء فقد كفاهم جهادهم مع رسول الله ﷺ ، وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه منمن بقي في المدينة لا يخرج منها إلا بأمر الخليفة ، ولأمر الخليفة ، وغالباً ما كان يقوم بدور محاسبة الولاة والرجال الذين يعملون في الأ MCSAR .

وجاءت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه شكوى على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وهو أمير العراق ، فالرجل لا يخلو من خصم ، والآفوس ليست كلها على درجة واحدة من الإيمان ، والحسد موجود في النفس ، ولكن لا بد من تحقيق ، فالحق فوق

لم يتحقق مع سعد ، وسعد من العشرة المبشرين بالجنة ، إلا أن الرجال يعرفون بالحق ، والصحابة فوق هذه الأمور ، فأرسل عمر رضي الله عنه محمد بن مسلمة إلى سعد رضي الله عنهما ، وأرسل معه رسالة ، وقال له : اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه ، ثم ارجع عودك على بدئك . فخرج محمد بن مسلمة حتى قدم الكوفة ، فاشترى حطباً . . . ثم أتى به إلى القصر ، فأحرق الباب ، وأتي سعد فأخبر الخبر ، فقال : هذا رسول أرسل لهذا الشأن ، ويعث لينظر من هو ؟ فإذا هو محمد بن مسلمة ، فأرسل إليه رسولاً أن ادخل ، فأبى ، فخرج إليه سعد ، فأراده على الدخول والتزول ، فأبى ، وعرض عليه نفقة فلم يأخذ الله أكبر ما أكرم هذه النفوس ! الأمير يخرج بنفسه لمقابلة الرسول والرسول يتمتع وبينهما من الحب القوي الذي لا نستطيع أن نصفه إلا أنه حب في الله .

ودفع محمد بن مسلمة كتاب عمر إلى سعد ، وفيه : بلغني أنك بنيت قصراً اتخذته حصنأ ، ويسمى

قصر سعد ، وجعلت بينه وبين الناس باباً ، فليس بقصرك ،
ولكن قصر الخبال ، أنزل منه متولاً مما يلي بيوت
الأموال وأغلقه ، ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس
من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ، ليوافقوا مجلسك
ومخرجك من دارك إذا خرجمت فيا شتان ما
بين الأمير المسلم الذي يجب ألا يكون بينه وبين الناس
حجاب ، يدخلون عليه في كل وقت ، ويعرفون ساعة
دخوله ومجلسه وخروجه ، وبين الحكام الآخرين الذين
يحيطون بسور من الجند ، ولا يعرف أحد دخولهم
وطريقهم وحلف سعد لمحمد بن مسلمة أنه
ما قال الذي قالوا . ورجع ابن مسلمة من فوره ، حتى
إذا دنا من المدينة فني زاده ، فتبلغ بلحاء من لحاء
الشجر ، وأقات نفسه ، فقدم على عمر وقد تعب
وهزل ، فأخبره خبره كله ، فقال : فهلا قبلت من سعد !
قال : لو أردت ذلك كتبت لي به ، أو أذنت لي فيه ،
قال عمر : إن أكمل الرجال رأياً من إذا لم يكن عنده
عهد من صاحبه عمل بالحزم ، أو قال به ، ولم يتتكل ،
فأخبره بيمن سعد قوله ، فصدق سعداً ، وقال : هو
أصدق مما روی عليه ومن أبلغني .

نهاوند لمنازلة الفرس هناك حيث تجمعوا بها ، إذ جاءت
شكوى على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من
الجراح بن سنان الأسدي ، فأرسل عمر رضي الله عنه
محمد بن مسلمة ، فقدم ابن مسلمة على سعد ليطوف به
في أهل الكوفة ، والبعوث تضرب على أهل الأمصار
إلى نهاوند ، فطوف به على مساجد أهل الكوفة ، لا
يتعرض للمسألة عنه في السر ، وليست المسألة في السر
من شأنهم إذ ذاك ؟ وكان لا يقف على مسجد فيسألهم
عن سعد إلا قالوا : لا نعلم إلا خيراً ، ولا نشتهي به
بديلاً ، ولا نقول فيه ، ولا نعين عليه ، إلا من ماله
الجراح بن سنان وأصحابه ، فإنهم كانوا يسكتون ولا
يقولون سوءاً ، ولا يسوغ لهم ، ويتعبدون ترك الثناء ،
حتى انتهوا إلىبني عيسى ، فقال محمد بن مسلمة :
أنشد بالله رجلاً يعلم حقاً إلا قال ! قال أسامة بن قتادة :
اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في
الرعاية ، ولا يغزو في السرية . فقال سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه : اللهم إن كان قالها كاذباً ورئأة وسمعة
فأعم بصره ، وأكثر عياله ، وعرّضه لمضلالات الفتنة .

فعمي ، واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع بخبر المرأة فباتها حتى يجسّها ، فإذا عشر عليه ، قال : دعوة سعد الرجل المبارك وكذا نفذت دعوته على كل من تكلم عنه .

وتوفي الخليفة عمر رضي الله عنه وبوبع عثمان بن عفان رضي الله عنه خليفة فكان محمد بن مسلمة بجانبه كما كان بجانب الخلفاء الذين سبقوه ، وفي أواخر سيدنا عثمان حدثت الفتنة العمياء ، فأشار عليه أصحابه أن يرسل إلى الأمصار رجالا يثق بهم يأتوه بالخبر فدعا محمد بن مسلمة مع من دعا ، وأرسله إلى الكوفة ، وكان أن أرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وعمار بن ياسر إلى مصر ، وعبد الله بن عمر إلى الشام ورجالا آخرين سواهم ، ورجعوا جميعا ولم ينكر أحد منهم شيئا ، ولا أنكره أعلام المسلمين وعوامهم .

ووقف محمد بن مسلمة مع سيدنا عثمان أثناء المحنّة التي ابتلي بها ، والفتنة التي عمّت المسلمين يومذاك ، ونافح عن الحق بكل إمكاناته ودافع عن الخليفة بكل طاقاته ، حتى كان أمر الله وقتل سيدنا عثمان مظلوما ، ومضى شهيدا .

بإمارة المؤمنين ، وهو على كره من ذلك ، ولكنه أراد أن يستتب الوضع في المدينة ، وبهذا الأمر الذي آلت إليه الخلافة ، ولكن سبعة من كبار الصحابة لم يبايعوا وهم : سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلم ، وزيد ابن ثابت ، وعبد الله بن عمر ، وصهيب ، وأسامه بن زيد ، وسلمة بن وقت ، ولم يختلف فيما عدا ذلك ، وكان لهم اجتهادهم ، ولهم رأيهم ، ولكنهم لم يطعنوا في إمامية علي ، ولم يتكلموا عنه بسوء - معاذ الله - وهم أدرى الناس بسيدنا علي ودوره في الإسلام .

وبقي محمد بن مسلم حتى انتهت خلافة علي ، وبويع الحسن ، وتنازل لمعاوية ، واجتمعت كلمة المسلمين ، وإن كانت قد انتهت الخلافة الراشدة ، وتوفي رضي الله عنه عام ٤٣ هـ في المدينة .